الآموريون في سورية

د.اسماعيل شيخي اوسي
دكتوراه في اثار وفنون الشرق القديم
الجامعة اللبنانية / بيروت

The Amorites in Syria

Dr. Ismail Sheikh Awsi
PhD in Antiquities and Arts of the Ancient East
Lebanese University / Beirut

Abstract

The Amorites, Canaanites, and Arameans constitute three major groups of Semitic peoples that appeared, mainly in Mesopotamia and the Levant, and had wide extensions that included the Arabian Peninsula, the Mediterranean basin, and North Africa. As for the Amorites, they are the oldest and largest Semitic group that appeared on the face of history, and the Amorites may have been the people of the Copper Stone Age (the Calculites) with other peoples, and they may have been the owners of the slave civilization (which preceded the Sumerian civilization), and this, if true, indicates their antiquity and the solidity of their roots In the region after the agricultural revolution in the Neolithic era (the Neolithic era). Thus, the Amorites were desert nomadic tribes that, through their spread and contact with the Sumerians and Akkadians, were able to learn the laws of civilization, transform Sumerian and Akkadian cities into Amorian ones, establish kingdoms of states in Mesopotamia and the Levant, and establish strong cities and states that ruled this region and gave it ancient cultural and civilizational features, whether in terms of architecture, arts or beliefs. religious.

الملخص

يشكل الأموريون والكنعانيون والآراميون ثلاث مجموعات كبرى من الاقوام السامية التي ظهرت، بشكل أساسي في بلاد الرافدين وبلاد الشام وكان لها امتدادات واسعة شملت الجزيرة العربية وحوض المتوسط وشمال إفريقيا. أما الأموريون هم أقدم وأضخم مجموعة سامية ظهرت على وجه التاريخ، وربما كان الأموريون هم أقوام العصر الحجري النحاسي(الكالكوليت) مع أقوام أخرى، وربما كانوا هم أصحاب حضارة العبيد (التي سبقت الحضارة السومرية)، وهذا، إن صحَ، يشير إلى عراقتهم ورسوخ جذورهم في المنطقة بعد الثورة الزراعية في عصر النيوليت (العصرالحجري الحديث). وبالتالي فإن الأموريين كانوا قبائل بدوية صحراوية استطاعت بانتشارها واحتكاكها بالسومريين والأكاديين أن تتعلم نواميس الحضارة وأن تحول مدن سومرية و أكادية إلى أمورية وإنشاء ممالك دول في بلاد الرافدين والشام وإقامة مدن ودول قوية حكمت هذه المنطقة وأعطتها سمات ثقافية وحضارية عريقة سواء من عمارة أو فنون أو معتقدات دينية.

المقدمة :

تحتل سورية مكانة فريدة في تاريخ العالم. وقد كان فضلها على رقي البشرية من الناحيتين الفكرية والروحية أجل شأناً من فضل أي بلد آخر، خصوصاً وأنها كانت تشمل فلسطين ولبنان ضمن حدودها القديمة. وربما كانت سورية أكبر بلد صغير على الخريطة، فهي صغيرة بحجمها ولكنها عالمية في تأثيرها الحضاري .[١]

تعتبر حضارات العصور التاريخية ف بلاد الشام مزيجاً من العناصر الحضارية للشعوب السامية وغير السامية التي توافدت عليها على شكل هجرات وغزوات متتالية في فترات مختلفة وكان لهذه الشعوب دوراً هاماً في تاريخ بلاد الشام في مراحله المختلفة .

يشكل الأموريون والكنعانيون والآراميون ثلاث مجموعات كبرى من الاقوام السامية التي ظهرت، بشكل أساسي في بلاد الرافدين وبلاد الشام وكان لها امتدادات واسعة شملت الجزيرة العربية وحوض المتوسط وشمال إفريقيا. أما الأموريون هم أقدم وأضخم مجموعة سامية ظهرت على وجه التاريخ، وربما كان الأموريون هم أقوام العصر الحجري النحاسي(الكالكوليت) مع أقوام أخرى، وربما كانوا هم أصحاب حضارة العبيد (التي سبقت الحضارة السومرية)، وهذا، إن صحَ، يشير إلى عراقتهم ورسوخ جذورهم في المنطقة بعد الثورة الزراعية في عصر النيوليت (العصرالحجري الحديث). وبالتالي فإن الأموريين كانوا قبائل بدوية صحراوية استطاعت بانتشارها واحتكاكها بالسومريين والأكاديين أن تتعلم نواميس الحضارة وأن تحول مدن سومرية و أكادية إلى أمورية وإنشاء ممالك دول في بلاد الرافدين والشام وإقامة مدن ودول قوية حكمت هذه المنطقة وأعطتها سمات ثقافية وحضارية عريقة سواء من عمارة أو فنون أو معتقدات دينية.

الشعوب السامية التي توافدت على بلاد الشام في العصور القديمة :

انطلقت من شبه الجزيرة العربية هجرات ضخمة تدفقت على شكل موجات متتابعة وشقت طريقها إلى الأراضي الخصبة في خارجها، ويذكر أن الفترة بين الموجة والتي تليها من هذه الهجرات بلغت نحو ألف عام .[٢]

وكان بدء انطلاق أولى الهجرات السامية نحو عام 5000 ق.م, وفي نهاية الألف الرابع وبدايات الألف الثالث ق.م أخذت الهجرات السامية التي خرجت من شبه الجزيرة العربية –صورة منتظمة – وبدأت تطفى على المشرق العربي وتؤثر فيها. وكانت بلاد الشام مقراً لهذه الهجرات السامية حيث تعرض لخمس هجرات على الأقل ،وكانت الموجة الأولى التي نزلت في الإقليم السوري موجة الآموريين وذلك في منتصف الألف الثالث ق.م.[٣] ولم تكن بلاد الشام خالية من السكان عند قدوم هذه الهجرات السامية الكبرى إليها، بل كان يسكنها أقوام من عناصر مختلفة، وكان ينتهي قسم كبير منها إلى جنس البحر المتوسط، وهو فرع من الساميين وقد أندمج الساميون في الهجرات المتتالية مع السكان الأصليين الذين كانوا أقلية، وأصبح الساميون يشكلون غالبية السكان، وسرعان ما طفت العناصر الحضارية السامية على العناصر الأخرى .[٤]

أصل الآموريين والمنطقة التي نزلوا بها في بلاد الشام :

الأموريون (ويسمون بقليل من الدقة العموريون) هو الأقوام السامية القديمة التي بدأت بالظهور على مسرح التاريخ في الألف الرابع قبل الميلاد، ويضع المؤرخون تاريخاً تقريبياً لبدء هجراتهم الاولى حوالي٣٥٠٠ق.م.

ونختلف مع أغلب الباحثين في نسب موطنهم الأول إلى الجزيرة العربية (كما هو حال جميع الهجرات السامية) ونرى أن بلاد الرافدين كان مهماً لهم وأن ظهورهم فيه زامن إلى حد ما ظهور السومريين قبل بدء العصور التاريخية، لكن موطنهم لم يكن شرق ووسط بلاد الرافدين بل كان متاخماً للضفاف الغربية للفرات وفي رقعة انتشار

صحراوية واسعة غرب تمتد حتى بلاد الشام ... ومن هناك انتشروا غرباً وزحفوا عسكرياً إلى الشرق واحتلوا بعض المدن السومرية.

ولا شك أن الأموريين الأوائل اندفعوا باتجاه السواحل الشامية وعرفوا فيما بعد ب (الكنعانيين) الذين يعني اسمهم سكان المنخفضات (كنع=كنخ=الأرض المنخفضة) وسكان السواحل المتوسطة الشامية الذين تشكلوا ثقافياً ودينياً بطريقة جديدة مختلفة، وقد كانت سواحل الخليج العربي وشمال الجزيرة أماكن سكن لهم، أما الأموريون الذين ظلوا رهن الصحراء وبعض السواحل التي تقع شرق مواطن الكنعانيين فقد ظلوا يعرفون بهذا الاسم أو أحياناً بالعموريين.

أما الأموريون الذين قفزوا إلى مدن بلاد الرافدين وأسسوا سلالة إيسن ثم سلالة بابل الأولى ثم الدولة البابلية القديمة فقد صار عن الطبيعي أن يطلق عليهم اسم(البابليون) حسب المدينة العظيمة التي سكنوها وأصبحت عاصمة دولتهم الكبيرة.

هكذا نجد أن المسرح السياسي والعسكري الواسع الذي لعب فيه الأموريون دوراً خطيراً بعد زوال السومريين كان يشغل آنذاك أوسع حركة سياسية عسكرية في بلاد الرافدين القديمة والشام، فقد احتكوا طويلاً بكل الأقوام المتاخمة لهم من عيلاميين وحوريين وحيثين وآشوريين ومصريين...الخ وتشكلت من هذا التفاعل (السلبي والايجابي) مع هذه الأقوام ثقافة نوعية جديدة لهم تبلورت معتقداتهم الروحية الدينية وظهرت معالمهم الحضارية الخاصة بهم.

إن أول شعب سامي بحث عن موطن دائم له في سورية وأقام فيها، هو الشعب الذي سماه جيرانه السومريون في شرق بالأموريين، لأننا لا ندري الاسم الذي يطلقه الأموريون على نفسهم. فكلمة أموريين إذاً غير سامية وتعني الغربيين. والعاصمة الأمورية (ماري) الواقعة جنوبي مصب الخابور (هذه أيضاً كلمة سومرية) هي من جهة الاشتقاق شبيهة باسم البلاد أمورّو Amuru أي بلاد الغرب، وكان مارتو Martu اسم إلههم القديم وهو إله الحرب والصيد .

وكما أطلق الأكديون عليهم اسم أمورو Amuru ويعني ذلك سكان الغرب. وقد أطلق البابليون الاسم على كل سورية، وسموا البحر المتوسط ب"بحر أمورو العظيم"، ومن المحتمل أن الاسم (أمورو) كان في الأصل اسماً لقبيلة قوية، أو مجموعة من القبائل، ثم عمم الاسم بعد ذلك، وصار اسماً عاماً يطلق على البدو القاطنين في بادية الشام [٥]. وأما معنى الاسم في العهد القديم فهو (الواحد الأعلى) وذلك لأن اسم الأموريين أنما هو اسم عام يعني "ساكن البلاد الجبلية أو طوال القامة "[٦].

وعلى أية حال، فلقد استعملت كلمة (أمورو) طوال التاريخ لتدل على هضبة الصحراء السورية، وإن كان امتدادها بوصفها وحدة سياسية خلال الألف الثاني ق.م، إنما كان يختلف من وقت لآخر، إذ كانت تنحصر في الإقليم الجبلي المعروف الآن "بجبل الدروز"، وأحياناً كانت تشمل على أرض من البحر المتوسط وحتى خاتي "خيتا"، وأحياناً أخرى كانت تمد إلى شرق الأردن، حيث قامت مملكة سيحون ومملكة عوج ملك باشان، وأما في عصر العمارنة فقد كانت أمورو دويلة في الجزء الفينيقي من بلاد الشام وكانت (سيميريا) واحدة من أهم مدنها[٧].

هذا ويمكن القول، أن المنطقة التي سكنها الأموريون إنما كانت تشكل ممراً طبيعياً له أهميته من الناحية الحضارية ونقل التراث الحضاري ، وكان من الناحية الغربية يؤدي إلى البحر المتوسط ، الناحية الشرقية إلى منعرج الفرات ، وقد حاول كل من البابليين والمصريين والآشوريين والكلدانيين والفرس والمقدونيين السيطرة على المنطقة [٨].

يرد أقدم ذكر للأموريين في أحد ألواح قارا (نحو 2600 ق.م) حيث يذكر شخصاً أمورياً. كذلك فإن نصوص إبلا تذكر الأموريين [٩]. وكان أول ذكر لأرض الأموريين في عهد سرجون الأكدي (حوالي 2250 ق. م) والذي ذكر في نصوصه أنه : ((قام في مدينة توتول Tuttul بعبادة الإله داجان ، الذي منحه منذ ذلك الوقت السيادة على الإقليم الأعلى ، ماري، أريا موتي Iarmuti، وإبلا Ibla ، وكذلك غابة الأرز وجبل الفضة)) [١٠]. وتمثل هذه المدن التي أشار إليها سرجون الأكدي في نصه وهي توتول وماري وأريا موتي وإبلا مدناً رئيسية لعدة ممالك تكون وحدة جغرافية أطلق عليها التسمية "الإقليم الأعلى" [١١].

كذلك تم الإشارة إلى الأموريين في بلاد الرافدين في شار كالي شاري (٢٢٢٣-٢١٩٨ ق.م) ملك أكاد الذي يتباهى بانتصاره عليهم عند جبل باشار(بشري). وبعد موت هذه العاهل تخلخلت أركان الامبراطورية السرجونية العظيمة تحت وطأة ضربات الشعوب القوية المهاجمة من وراء زاغروس ودجلة (الغوتيون). أما الأموريون من الجهة الاخرى فقد كانوا يغتنمون الفرصة. ففي الوقت الذي كانت تواجه فيها المملكة المصرية القديمة مصاعب في مناطق نفوذها في فلسطين وسورية لما كانت تعانيه من أسباب الضعف في الداخل فقد انتشرت الأموريون في مناطق الغرب كلها أي في بلاد الشام كلها. وقد افتتحوا بذلك صفحة في سبر تطور الأحداث كان يتكرر على مر العصور، فعندما تتركز السلطة في الشرق الادنى بين قوتين إمبراطوريتين في وادي النيل، ودجلة والفرات يقوم نوع من التوازن يتخلله في فترات قصيرة توسع إحدى القوتين في سورية وفلسطين، وهي منطقة متوسطة لم تستطع خلال العصور القديمة تشكل قوة مستقلة متحررة بل كانت على الأغلب جزءا من الإمبراطوريات العظمى الرافدية أو المصرية التي كانت تتنافس فيما بينها على أرضها. ففي فترة نصف القرن التى عمت فيها الفوضى عقب موت شار كالي شاري يرد ذكر عناصر أمورية جنباً إلى جنب مع الغوتيين في نصوص اقتصادية من أوما. وقد استجلب جوديا (٢١٤٣-٢١٢٤ ق.م) أمير لاجاش المواد اللازمة للبناء من مناطق بعيدة من الامانوس وجبل الأموريين (أي جبل بشري). ولكن في مرحلة تالية وهي مرحلة حكم أسرة أور الثالثة (في القرن الحادي والعشرين ق.م) فإن نصوص أوما ولاجاش تذكر عناصر أمورية مستقرة ربما كانت انحدرت من اولئك الاموريين.[١٢]

الأموريون وحركات البدو خلال الألفين الثالث والثاني ق.م:

تمتد بين الفرات ووادي النيل وعلى الأطراف المعمورة من بلاد الشام منطقة تكاد أن تكون جافة لقلة أمطارها ومياهها وهي البادية العربية السورية، المعروفة باسم الحماد. وهي منطقة لا تتوفر فيها شرائط الحياة المدنية المستقرة فكانت موطنا للبدو والرحل وهم الذين عرفوا في النصوص المسمارية باسم شعوب أمور، اي شعوب الغرب، وقد ورد ذكرهم في أسفار التوراة عند الحديث عن شعوب فلسطين القدماء باسم أموريين. وقد امتدت منازل هذه القبائل على طول الجبال التدمرية وجبل بشري الذي يدعى في النصوص القديمة "جبل ماشار" وكان السومريون يدعونه أرض أمورو المرتفعة وقد اقترب الأموريون من نهر الفرات كلما أتيحت لهم الفرصة ولكنهم كانوا يصدمون بالحضر سكان المدن. وهكذا أضحى اسم أمورو اصطلاحاً جغرافياً يدل على مناطق متسعة تمتد إلى غرب الفرات وتدل على الغرب.

وقد أثر الأموريون على تاريخ المشرق القديم ودوله منذ عصر مبكر فقد أخذت هذه العناصر البدوية تتسرب إلى داخل البلاد طلباً للأرض الخصبة والمياه وطمعاً بالثروات, ولكنها اصطدمت بالدول القائمة السومرية ثم بالمملكة الاكادية. واستطاعت مدينة ماري في العصر الأكادي، وكانت مدينة حصينة على الفرات الأوسط أن تسد عليهم الطريق زمناً طويلاً، وهو ما فعلته مدينتا لاجاش وأوما لمقاومة العناصر التي كانت تتسرب من جنوب المشرق العربي القديم. وقد أدى اصطدام البدو بمراكز المدن على النهر إلى تطور في أسلوب حياتهم فانطلقوا إلى

حياة نصف بدوية ثم اخذوا بتبني المؤسسات البدوية القائمة بالتدريج. ويتميز النصف الأول من الألف الثاني ق.م بصورة عامة بهذا التوتر الشديد الذي قام بين أهل الصحراء والبوادي من جهة وبين المعمورة من جهة، وبين أصل الريف وبين المدينة من جهة أخرى، أي بين البدوي وبين الحضري.

وتشير الدلائل إلى استقرار عناصر كثيفة من الأموريون في جبل بشرى وفي شرقي الأردن في القرن الثاني والعشرين ق.م. ويبدو أن الحضارة التي عرفتها فلسطين في عصر البرونزي القديم (٣٠٠٠-٢٠٠٠ ق.م) واجهت مرحلة من العنف مع قدوم عناصر جديدة في الفترة التي تشير إليها. وقد حل محلها ثقافة جديدة نصف بدوية يمكن دراستها من خلال آثارها الفخارية، ومن الأسلحة والمقابر والأشياء المادية الأخرى التي خلفتها. ويرى معظم علماء الآثار المتغيرات التي طرأت على الحياة المادية في فلسطين وشرق الأردن تتفق مع مرحلة جديدة هي عصر برونزي الوسيط (٢٠٠٠-١٦٠٠ ق.م) وهي تغرى بصورة ما إلى التوسع الأموري في المنطقة.

وقد تسرب عن طريق التجار الآشوريين كثير من الأموريين إلى الأناضول حيث مارسوا تجارة ناجحة. واستطاعوا أن يقيموا مدناً عامرة في الغرب (أي في سورية)، ففي فلسطين مثلاً نجد مدينة حاصور جنوبي حوضا الحوله (تل قدح، تل وقاص)، وبالرغم من عدم اكتشاف نصوص ذلك الموقع فإن الآثار المادية تعطي فكرة واضحة عن دولة مدينة كنعانية قوية كان لها قصر كبير ومعروفة في الوثائق الإبلائية والمصرية. وربما كانت قاعدة من قواعد الأموريين الذين حكموا مصر وعرفوا فيها باسم الهكسوس.

أما المصادر للتعرف على تلك المرحلة من الألف الثانية ق.م فهي نصوص ماري ونصوص ألالاح ونصوص تل العمارنة في مصر. وهذه النصوص تظهر أن أسراً حاكمة أمورية كانت في المنطقة. وبعد ١٧٥٠ق.م دخل الأموريون إلى مصر حيث حكموا الدلتا ومصر الوسطى ودعوا هناك باسم هكسوس. وفي تلك المرحلة ساد الاستقرار حياة الأموريين واختلطت ثقافتهم بثقافات الحضارات المجاورة. وبانتشار هذه العناصر البدوية الأصل في الهلال الخصيب، نجد الحضارة البابلية – الآشورية قد انتشرت في جناحه الشرقي والكنعانية في جناحه الغربي، وفيها الأوغاريتية والعمورية (من مراكزها المبكرة المكتشفة حدثياً في سورية (تل مرديخ قرب إدلب), أما أهم مراكز الحضارة الأمورية في سورية فهي تل الحريري– ماري وأهم دولها مملكة يمخاض– حلب.[١٣]

أما بالنسبة **للبدو وحركاتهم خلال الألف الثاني قبل الميلاد**, فقد أظهرت الدراسات التى نشرها كوبر (J.R.KUPPER). بوضوح أن البدو لم يكونوا يمارسون أسلوباً واحداً من الحياة، فالخانيون كانوا يجندون في جيش مملكة ماري (موقع تل الحريري على نهر الفرات قرب البوكمال) وكانوا في مرحلة قريبة من الاستقرار، ومع ممارستهم للتجارة بطريق القوافل والرعي كانوا يملكون الأراضي ويمارسون الزراعة ولهم قرى ومدن يحكمها شيوخ. أما السبنيامينيون فكانوا أكثر غراقاً في البداوة، إلا أنهم كانوا مضطرين أيضا إلى ممارسة أسلوب يقربهم إلى الاستقرار. وقد كانوا يعقدون الاتفاقات مع الحضر وقد يعمدون أيضا إلى نقض هذه الاتفاقيات. أما السوتيون فقد بقوا دائماً بدواً نهابين وغزاة مخيمين. وكان كتاب بلاد الرافدين من السومريين يدعونهم في نصوصهم أموريين أي أبناء الغرب أمورو.[١٤] أما صورة الأموري هذا عند السومري فهي صورة الحياة البدوية. وهناك شاعر سومري عاش قبل عام 2000 ق.م بقليل، حين كان الأموريون يحتلون بلاد بابل. وقد عبر هذا الشاعر انتقال الأموريين من حياة الرعي إلى حياة الاستقرار بصورة شعرية حيث قال :

بالنسبة للأموري السلاح هو رفيقه

..... فلا يعرف الخضوع

وهو يأكل لحماً غير مطبوخ

وفي حياته كلها لا يملك بيتاً
وهو لا يدفن رفيقه إذا مات
و{الآن} مارتو يملك بيتاً.....
و{الآن} مارتو يملك حبوباً.

وكانت حياته البدوية تعتمد على الحمار لأن الجمل كحيوان مدّجن لم يكن استخدامه شائعاً في ذلك الوقت . وكان لا يزال في القرن الثامن عشر ق.م يستخدم الحمار لأجل تقديم الذبائح. (١٥)

ولكن هذه الوضع تغير بعد دخولهم واستقرارهم في بلاد المشرق العربي القديم وتمثلهم للحضارة التي كانت سائدة هناك. إن دخول الأموريين إلى المشرق القديم كان في البداية سلمياً وبأعداد قليلة. تذكر نصوص سلالة أور الثالثة (٢١١١-٢٠٠٣ ق.م) أموريين كانوا يملكون حقولاً أو يمارسون وظائف. بيد أن هذا التسرب السلمي تزايد مع الزمن وأصبح يهدد وحدة سلالة أور الثالثة. فقام الملك شوسين (٢٠٣٦-٢٠٢٨ ق.م) ببناء سور لمنع دخول تلك الجماعات إلى بلاد الرافدين، وسمي سور مارتو، وكان طوله في البداية نحو ٦٣ كم ثم رمم ووسع حتى بلغ نحو ٢٨٠ كم. ويبدو أنه أدى الغرض الذي بني من أجله لفترة من الزمن، ولكنه لم يوقف بشكل نهائي دخول الجماعات الأمورية إلى بلاد الرافدين، فقد ساهمت هذه الجماعات بشكل رئيس في سقوط سلالة أور الثالثة، وقام بعض أفرادها بتأسيس سلالات حاكمة في إسين ولارسا قبل سقوط أور.(١٦) وبذلك نجح الأموريون في بداية الألف الثاني ق.م من تأسيس سلسلة من الدويلات الصغيرة في سورية وفلسطين وعلى حدود بلاد الرافدين. فما أن حل القرن العشرين ق.م حتى أصبحت منطقة وسط الفرات أمورية في سكانها ومظاهر حضارتها. حيث أسسوا دولة عاصمتها ماري، وخلال الألف الثاني ق.م أصبحت ماري وما حولها أمورية .

ولم يقتصر الأموريون على تأسيس دولة في منطقة الفرات الأوسط واجتياح سورية وإنما اجتاحوا بلاد الرافدين أيضاً وحكموها, وقد أسسوا عدة سلالات من آشور في الشمال حتى لارسا في الجنوب بين 2100 و1800 ق.م. وأهم هذه السلالات كانت سلالة بابل وهي أول سلالة ظهرت في هذه المدينة وانتسبت إليها حمورابي (نحو 1700 ق.م) أول مشروع عظيم في العصور القديمة. وحمورابي هو الذي فتح بلاد آمورو وأضافها إلى إمبراطوريته البابلية (١٧).

الممالك الآمورية في سورية :

١- مملكة ماري Mari {حالياً تل الحريري}:

أدت الحفريات التي بدأت منذ عام 1933م في تل الحريري بإشراف اندريه بارو A·Parrot إلى الكشف عن آثار عديدة أهمها: القصر الملكي والأرشيف المؤلف من نحو خمسة وعشرين ألف رقيم طيني، كتبت بالخط المسماري وباللغة الأكادية /البابلية القديمة/، ويعود إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر ق.م .

يحوي الأرشيف وثائق اقتصادية وإدارية ورسائل مختلفة تلقي أضواءً على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدينية في ماري وغيرها، وعلى العلاقات السياسية التي كانت قائمة آنذاك في سورية وبلاد الرافدين (١٨). نعرف من هذا الأرشيف أن أسرة أمورية توصلت إلى الحكم في ماري في بدايات الألف الثاني ق.م، وأول ملك معروف منها يدعى يجيد ليم Yaggid Lim (نحو1830 ق.م) الذي دخل في صراع مع حاكم أموري آخر هو إلاكبكابو Ilakabkabu والد شمشي أدد، الذي كان يحكم في ترقا Terqa (حالياً تل عشارة الواقعة إلى الشمال من ماري) وطرده من هناك.

خلف يخدون ليم Yachdun Lim (نحو 1825–1810ق.م) والده يجيد ليم وترك تقريراً عن الأعمال التي قام بها على شكل "وثيقة تأسيس" أودعها في أساسات معبد شمش إله الشمس الذي قام ببنائه في ماري . ويمجد نفسه فيها بأنه أول ملك من ماري استطاع الوصول إلى شواطئ البحر المتوسط وقطع أشجار الأرز والصندل في الجبال العالية أي الجبال الساحلية. لكن هذه الحملة لم تكن لها نتائج سياسية, فلم تقد إلى إخضاع سورية لسيطرة مملكة ماري. وكان من أهم أسبابها الحصول على أخشاب البناء وتحقيق المجد والشهرة .

امتد نفوذ يخدون ليم حتى مدينة إيمار Emar (مسكنة حالياً). انتهى حكمه بمؤامرة في القصر الملكي، قتل الملك خلالها من قبل خدمه ويبدو أن شمشي أدد بن إلاكبكابو الذي كان قد وصل إلى الاستيلاء على الحكم في آشور، ولم ينس نزاع أسرته مع أسرة يخدون ليم، كان وراء هذه المؤامرة، فقد احتل ماري بعدها ونصّب ابنه يسمخ أدد حاكماً عليها .

هرب زمري ليم Zimri Lim بن يخدون ليم إلى حلب وأقام هناك طوال فترة الحكم الآشوري لماري (نحو 20 عام). بعد موت شمشي أدد عام 1782 ق.م انهارت إمبراطوريته التي بناها، وعاد زمري ليم إلى ماري بمساعدة ياريم ليم الأول Yarim Lim I ملك يمخاض .

وقد عاشت ماري في عهد زمري ليم (1782–1759 ق.م)، آخر ملوك ماري، أزهى فترات تاريخها، فقد كانت تشكل قوة سياسية واقتصادية كبيرة، ويشهد على ذلك أرشيفها الذي يعود في معظمه إلى عهد زمري ليم. ويظهر حسب الرسائل الموجودة أن زمري ليم كان سياسياً بارعاً له علاقات سياسية مع معاصريه من الملوك والحكام الآخرين. فقد ارتبط بعلاقة مصاهرة مع ياريم ليم الأول ملك يمخاض بالزواج من ابنته شيبتو. وأقام علاقات صداقة مع حمورابي البابلي (1792–1750ق.م) ودخل معه في حلف ضد عيلام وإشنونا.

إضافة إلى كل هذا ، فقد كان زمري ليم مولعاً بالبناء ويشهد على ذلك قصره الملكي الذي كان يعد من عجائب الدنيا في ذلك العصر،حتى أن حاكم أوغاريت طلب عن طريق حمورابي الأول ملك حلب، من زمري ليم السماح له برؤيته .[١٩]

ومما هو جدير ذكره أن قصر الملك زمري ليم كان يضم حوالي 300 غرفة، حليت جدرانها بألواح ذات إطارات، زينت برسوم متقنة للرجال والآلهة وكما عثر في هذا القصر على الأرشيف الملكي الهام.[٢٠]

وعلى الرغم من علاقات الصداقة بين زمري ليم وحمورابي البابلي، فقد قام هذا الأخير بعد أن قضى على بقية خصومه وسيطر على كل بلاد بابل ، بمهاجمة ماري واحتلالها في السنة الثالثة والثلاثين من حكمه (1759ق.م) . حيث هدم أسوار المدينة بعد سنتين من ذلك التاريخ نتيجة القيام بمحاولة للتخلص من الحكم البابلي على ما يبدو. ولا نعرف شيء عن مصير زمري ليم بعد ذلك.[٢١]

٢– مملكة إبلا Ebla / تل مرديخ حالياً/:

قامت هذه المملكة في موقع إبلا (تل مرديخ حالياً الواقعة إلى الجنوب من مدينة حلب)، حيث بدأت بعثة علمية من جامعة روما برئاسة باولو ماتييه P.Matthiae بالتنقيب فيه عام 1964 م. وفي عام 1975 م عثرت البعثة على مكتبة القصر واستخرج أكثر من /15/ألف لوح ، وهي أقدم وثائق رسمية لدولة ظهرت في العالم. [ب]

ومن خلال هذا الأرشيف أطلعنا على قسم كبير من تاريخ إبلا، التي قامت سياستها على السيطرة على التجارة بين بلاد الرافدين والأناضول وسورية ومصر، ولتأمين الموارد الأولية. وهذا الكيان السياسي والإداري الواسع كان يتطلب تنظيماً وظيفياً كاملاً ، لذلك فإننا نجد ملكاً على رأس الدولة (ماليكوم) باللغة الإبلوية ، يساعد في حكمه وإدارة مملكته ، مجلس شيوخ أو قضاة ، وكان جهاز إبلا الإداري مكون من 11700 شخص. وهذا مؤشر لندرك

منه حسن تنظيم الدولة واتساع رقعتها السكنية. وتم العثور على لوحات تضم تمارين مدرسية ، كل لوحة تحمل اسم الطالب الذي كتبها مع توقيع أستاذه أو معلمه. وينقسم تاريخ مدينة إبلا إلى مرحلتين :

– المرحلة الأولى : من2400–2100 ق.م وهي المرحلة التي خضعت لسيطرة ماري وأكّد.

– المرحلة الثانية : من 2100–1600 ق.م حيث بقيت منها إبلا ضمن إطار محدود وأشهر ملوك هذه الفترة ابن زيكو عام 1850 ق.م الذي تنافس مع ملك حلب (شماس أدد) فأقام تحالفاً مع مملكة ألالاخ من خلال زواج ملكي. ولم يعد إبلا منفذ على الساحل في هذه الفترة. وبعد عام 1800 ق.م أصبحت إبلا تحت وصاية مملكة يمخاض وأنتهى الضربة القاضية من قبل الحثيين الذين انحدروا من الشمال عام 1610 ق.م .[٢٢]

٣– مملكة يمخاض Yamchad :

عثر عالم الآثار ليوناردو وولي خلال تنقيباته في تل عطشانة في سهل عميق في الطبقة السابعة، على عدد ضخم من الألواح الطينية، نقشت بالكتابة المسمارية يقارب عددها 600 لوح . وتتعرض هذه الكتابات لأحداث سياسية هامة جرت في القرنين الثامن والسابع عشر ق.م. وظهرت في الطبقة الرابعة من التل مجموعة أخرى من الألواح تحدثنا كتابتها عن بعض أحداث القرن الخامس عشر ق.م وتقص علينا هذه النصوص أخباراً عن بعض حكام مملكة يمخاض التي كانت عاصمتها مدينة حلب، وعن حكام مملكة موكيش وعاصمتها ألالاخ (تل عطشانة حالياً) التي أقيمت على أنقاض مدينة أقدم زمناً منها. وكانت مملكة موكيش تابعة لمملكة يمخاض في حلب. [٢٣]

وكذلك يزودنا أرشيف ماري بمعلومات هامة عن هذه المملكة حيث تذكر رسالة الموظف الكبير إتو إشدو إلى سيده زمري ليم، على جانب أهم حكام بلاد الرافدين، أقوى ملكين سوريين وهما ياريم ليم Yarim Lim ملك يمخاض وأموت بيل Amut Piel ملك قطنة ، حيث يتبع للأول عشرون ملكاً وللثاني عشرة أو خمسة عشر ملكاً. يتضح هذا، أنه كانت تقوم في سورية في القرن الثامن عشر ق.م دول عديدة أهمها يمخاض وقطنة .

ربما كان ياريم ليم الأول المذكور قد قام في حلب عاصمة مملكة يمخاض وراقب من هناك كل شمال سورية تقريباً. وعندما تتحدث نصوص أرشيف العاصمة الحثية (حاتوشا) اللاحقة عن ((مملكة ملوك يمخاض الكبرى)) فإنه يمكننا أن نرجع نشوء هذه الدولة القوية، التي كانت أقوى دولة في سورية في الألف الثاني ق.م ، إلى عهد ياريم ليم الأول .

لقد مارس ياريم ليم الأول نفوذاً وتأثيراً في الأحداث في وسط بلاد الرافدين وشرقها . وكانت كركميش (جرابلس حالياً) خاضعة له أيضاً. ولقد تميزت علاقات ياريم ليم الأول مع قطنة الواقعة في وسط سورية (تل مشرفة حالياً) بالسوء، حيث دخل إشخي أدد Ishchi Adad ملك هذه الدولة في تحالف مع شمشي أدد الأول الملك الآشوري الذي متن علاقاته معه بتزويج ابنه يسمخ أدد من ابنته. ولكن يبدو أن النزاع بين يمخاض وقطنة قد حل بشكل سلمي عن طريق وساطة زمري ليم ملك ماري.

وصلت يمخاض في عهد ياريم ليم الأول إلى درجة كبيرة من القوة وامتد نفوذها السياسي ليشمل مناطق تقع شرق دجلة (دير دينيكتوم) وقدمت مساعدة عسكرية لتحالف حمورابي – زمري ليم ضد إشنونا وعيلام .

خلف ياريم ليم الأول ابنه حمورابي الأول الذي أقام كوالده علاقات طيبة مع ماري . ويظهر في إحدى الرسائل وسيطاً بين ملك ماري وحاكم أوغاريت عندما عبر هذا الأخير عن رغبته في رؤية قصر ماري الشهير الذي كان يعد إحدى عجائب الدنيا في عصره . [٢٤]

ونعرف من نصوص ألالاخ أسماء بعض ملوك هذه المملكة فتذكر مثلاً أبال إل Abbael ابن حمورابي الأول وخليفته على عرش يمخاض الذي بدأ حكمه في منتصف القرن 18 ق.م وكان يسيطر على مناطق شرق الفرات

وتخضع له إيمار وكركميش ، وأشهر أعماله قيامه بالقضاء على تمرد نشب في مدينة إرَّيتي Irrite الواقعة شرق الفرات التي كان يحكمها أخوه ياريم ليم . وعوَّضه عن تلك المدينة التي دمرها عند قضائه على التمرد بإعطائه مدينة ألالاخ وبعض القرى الأخرى .

كانت مملكة يمخاض تمثل العدو اللدود للحيثين ، وتشير نصوص الحيثين أن ملوك حلب كان لديهم مملكة كبيرة وأن خاتوشيلي بدأ مهاجمة أراضي المملكة للقضاء عليها، والظاهر أنه فشل وغالباً ما تلقى ضربة قاتلة وأتم هذا العمل ابنه مورشيلي حيث نجح في تدمير حلب . وبذلك أصبح الملوك الحثيون يشعرون أنهم ورثة السلطة التي كان يمثلها ملوك حلب .[٢٥]

٤- مملكة ألالاخ Alalakh /تل عطشانة حالياً/:

جرت حفريات أثرية ما بين 1937-1939 و 1946-1949 في موقع تل عطشانة الحالي على المجرى السفلي لنهر العاصي بالقرب من أنطاكية بإشراف الانكليزي ليوناردو وولي. وقد تبين أن الموقع تم استيطانه منذ عصور ما قبل التاريخ. وكانت أهم المكتشفات أكثر من 500 لوح طيني مكتوب بالخط المسماري وباللغة الأكادية /اللهجة البابلية/ وتعود إلى فترتين زمنيتين مختلفتين من الألف الثاني ق.م. وبين لنا الأرشيف المكتشف من السوية السابعة على العلاقات ما بين ألالاخ ويمخاض في نهاية القرن 18 ق.م وفي القرن 17 ق.م عندما كانت ألالاخ تشكل جزءاً من مملكة يمخاض .

أما الأرشيف الحديث من السوية الرابعة فيعود إلى القرن الخامس عشرة ق.م أي تلك الفترة التي كانت ألالاخ خلالها مملكة تابعة للإمبراطورية الحمورية – الميتانية[٢٦] . وكان من أشهر ملوك هذه المملكة الملك إدريمي Idrimi (1510-1480ق.م) الذي حكم ألالاخ حوالي ثلاثين عاماً عندما أمر كاتبه الحوري الأصل المدعو" شاورا – وا" أن ينقش كتابة مسمارية على تمثاله النصفي المحفوظ في المتحف البريطاني . وتتألف الكتابة من مائة وأربعة سطراً ويقص علينا الملك فيها تاريخ حياته والصعاب التي اعترضت سبيله خلالها. ويذكر في بداية النقش قصة هربه من جميع أفراد أسرته الملكية من حلب إلى أخواله[٢٧].

٥- مملكة قطنة Qatna /تل المشرفة حالياً/:

قامت هذه المملكة في موقع تل المشرفة الواقعة على بعد 18 كم شمال شرق حمص والذي نقب فيه دو بويسون Comte Du Mesnil Du Busson في الفترة ما بين 1924-1929 م. وقد لعبت قطنة دوراً هاماً في المنطقة كمحطة هامة على طريق القوافل بين الفرات والبحر المتوسط .

تذكر نصوص ماري أسماء ملكين فقط من ملوك هذه المملكة هما إشخي أدد وأموت بيل اللذان ينتميان إلى أسرة أمورية. وقد كان إشخي أدد حليفاً لشمشي أدد الآشوري كما رأينا، ويبدو أن موقفه قد ضعف بعد موت وانهيار إمبراطوريته. وقد خلفه على عرش قطنة أموت بيل الذي تذكره رسالة إتور أشدو بين ملوك سورية وبلاد الرافدين الأقوياء في القرن الثامن عشر ق.م. ولقد أقام أموت بيل علاقات طيبة مع رمزي ليم ملك ماري، وتشهد على ذلك إرساليات القصدير من ماري إلى قطنة وكذلك تبادل الهدايا بين الملكين فقدت مملكة قطنة في العصور اللاحقة أهميتها وتحولت كما يبدو إلى مملكة صغيرة لم يعد لها أي دور يذكر في الأحداث التي تجري .

٦- مملكة توتول Tutul:

اختلف الباحثون حول موقع مدينة توتول ... فمنهم من رأى أنها مدينة هيت ومنهم من رأى أنها قريبة من مدينة الرقة في (تل البيعة) الحالي. ومنهم من رأى أنها غرب حلب وقريبة من مملكة الألاخ.

ويتضح لنا من خلال الآثار القديمة أنها واقعة على نهر الفرات وأنها كانت تابعة لمملكة ماري عندما احتلها سرجون الأكدي وضمها إلى أملاكه، كما تبين من حديثه عن احتلال المنطقة، إن توتول كانت مركزاً هاماً من مراكز عبادة الإله إجان، إذ ينسب إلى هذا إله هذه المدينة بالذات، دجان توتول، الفضل في إهدائه (البلاد العليا) أي الجزيرة العليا، وما يجاورها إلى الغرب حتى البحر المتوسط، وهذا يعني سرجون الأكدي كان يرى أن المناطق الواقعة بين توتول وسورية الشمالية تتشكل وحدة من حيث السكان والمعتقدات الدينية.

٧- مملكة عمورو(آمورو) Amuro:

إذا كانت الممالك السابقة تقع جميعها شرق نهر العاصي فإن مملكة عمورو(آمورو) تقع غرب هذا النهر وتتاخم المدن والممالك الكنعانية الساحلية. وكانت مملكة عمورو تحتل السهل الواقع على امتداد نهر العاصي شرقاً ومدن الساحل الكنعاني غرباً ابتداء من أنطاكيا وحتى طرابلس.

أما مملكة (أولي) التي كانت تقع جنوب عمورو ما بين جبال لبنان الشرقية والغربية فقد كان يغلب عليها الطابع الكنعاني، وفي الوقت الذي كان المصريون والحيثيون يسعون للسيطرة على بلاد الشام، كانت هذه المملكة تسعى لتوحيد الممالك الأمورية والكنعانية وجعل بلاد الشام قوية أمام أهيتن القوتين الدولتين.

وفي عهد أمنحوتب الثالث وأمنحوتب الرابع كان يحكم مملكة عمورو الملك (عبدي-عشيرتا) وابنه (عزيرَو) الذي كان يتولى قيادة الجيش. وقد اتبع الملك وولده سياسة مزدوجة مع ملوك مصر، فقد كان يظهر ان الولاء لملوك مصر ولكنهما يقومان بمساعدة الحيثين بالاستيلاء على المدن الشامية واحدة بعد الأخرى وتوسيع مملكة عمورو. فقد تحالف عزيرو اولاً مع الملك (اتكاما) ملك مملكة (قادش) الكنعانية ونفذ بعض خططه. ثم هاجم بالاتفاق مع الحيثين مدن الساحل الشامي واحدة بعد الاخرى بادئا بمدينة (ني) ثم حاول ذلك مع مدينة (سومورو) رغم أنها كانت مقر المراقب المصري في منطقة عمورو واحتلها ثم مدينة (تونيب) ثم (أمانوس) ثم (جبيل)...إلخ.

وكان الناس يرسلون إلى الفرعون المصري رسائل عن أفعال (عزيرو) دون جدوى لأنه كان يرسل رسائل أخرى تعكس ما قيل للفرعون ولا تخبره بالحقيقة.

وخلال فترة وجيزة أصبح (عزيرو) ملك النصف الشمالي وانفصل عن السلطة المصرية منتهزاً الاضطرابات الداخلية التي نشبت في مصر بين الفرعون اختاتون وأنصار الإله (آمون) وكان الحيثيون يساندون عزيرو ويدعمونه لكنهم لم يسمحوا له بالتوحيد الشامل للممالك التي خضعت له بل جعلوها ممالك مفككة خاضعة لنفوذهم وجعلوا من عزيرو أداة لهم. وهكذا فرض الحيثيون عليه أتاوة سنوية قدرها ٣٠٠ شيقل من الذهب الخالص.

وجاء بعد (عزيزو) ملوكا على عمور الملوك:

١- دوبي- تيشوب.

٢- بينتيشينا.

٣- زاوشحا مووا....إلخ.

وحين حاول ملوك وأمراء بلاد الشام التخلص من الحكم الحيثي لعبت (عمورو) دوراً شائناً في مناصرة الحيثيين. وإذا كان شمال الشام قد استعمر من قبل الحيثين فان جنوبه قد استعمر من قبل المصريين. ولكن الأمور لم تدم طويلا فقد حرر الآشوريون شمال الشام من الاستعمار الحيثي ثم قضى (أقوام البحر) على الدولة الحيثية نهائيا. وحرر المصريون جنوب الشام من اضطراباته وتسرب الفلستينيون من اقوام البحر الى ساحل فلسطيني ومدنه[٢٨].

الآموريون في التوراة :

تصور التوراة الآموريين في سفر التكوين وكأنهم من سلالة "كنعان" وهو نوع من الاضطراب المعهود في التوراة، وذلك لأن الآموريين – طبقاً لرواية التوراة هذه – سوف يكونون من الحاميين وليسوا من الساميين، ذلك لأن الكنعانيين – في نظر التوراة – إنما هم حاميون . بل أن هناك من الباحثين المحدثين من يرى في أرض أمورو المهد الأول للساميين وتشمل بلاد الشام ومنطقة الفرات [٢٩] .

وعلى أية حال فإن التوراة تصور الآموريين من الأهمية بما يكفي لأن يطلق اسمهم – في بعض الأحيان – على كل شعوب أرض كنعان بصفة عامة .

وأياً كان، فإن الآموريين يظهرون في التوراة، وكأنهم يحتلون جزءاً من بلاد يهوذا، كما يحتلون جزءاً من منطقة شرق الأردن. ذلك لأن الأموريين كانوا منذ عصر سيدنا إبراهيم عليه السلام (1940–1765 ق.م) أهم قبيلة في الأرض الجبلية بجنوب فلسطين [٣٠]. وكانوا يسكنون في حصون "تامارا" وهي عين جدي التي تقع على مقربة من حبرون. هذا وينسب إلى الأموريين إنشاء عدة مدن لعل أهمها تل الحسي على مبعدة 16 ميلاً إلى الشرق من غزة وتل البخيلة على مبعدة 18 ميلاً إلى الشمال الشرقي من غزة ، فضلاً عن مدينة "شلعيم"(ج) شرقي اللد وكما جددوا مدينتي "لخيش" (هـ) و"جازر"(ن) وحصنوا جميع المدن وأحاطوها بالأسوار .[٣١]

مظاهر حضارة الآموريين:

١ – اللغة الأمورية :

لم يترك الأموريون وثائق هامة باللغة الأمورية ، ولا تتضمن هذه الوثائق بلغتهم الخاصة سوى أسماء الملوك والحكام وبعض أسماء الأماكن في سورية. وأكثر وثائق الأموريين كتبت باللغة الأكادية، واللغة البابلية القديمة. ويبدو أن اللغة التي كان يتحدث بها الآموريون، ويستعملونها أحياناً في كتابة وثائقهم الخاصة، كانت نوعاً من اللغة الكنعانية، بلهجتها التي انتشرت في المناطق الشرقية من الإقليم السوري. وتختلف هذه اللهجة إلى حدة من اللهجة الفينيقية، التي كانت أيضاً لهجة كنعانية انتشرت في غرب سورية، ولها خصائصها المميزة. [٣٢]

٢ – فن العمارة عند الآموريين :

بلغ فن العمارة درجة عالية من التقدم لدى الآموريين. ويتمثل ذلك في قصر الملك زمري ليم في مدينة ماري /تل الحريري/ الذي كان يضم نحو300 غرفة وفي وسطها غرفة العرش وغرفة الانتظار وكانت مساحة القصر تبلغ 4500 قدم مربع وتعمرها أشعة الشمس ومرصوفة ببلاطات من الجص. وجدران القصر كانت سميكة جداً وتبلغ في بعض جوانبها أربعين قدماً ومشيدة أسسها بالحجارة ويصل ارتفاعها في بعض الأماكن إلى حوالي ستين قدماً. وكان القصر يضم مدرسة من غرفتين، يحتوي على مقاعد على شكل مصاطب فخارية وما يشبه السبورة من الطين لكتابة التمارين المدرسية عليها.وكما يضم أيضاً معبداً خاصاً للملك كرّس لعبادة الإلهتين (أتوبيت) و(عشتار). وهذا القصر يعد عند علماء الآثار جوهر الفن المعماري الشرقي. وكانت له شهرة كبيرة في المنطقة وزاره ابن ملك أوجاريت على الساحل السوري، لتفقد معالمه، بقصد إقامة قصر مماثل في مملكته. [٣٣]

٣- الديانة الآمورية :

في البداية لم يختلف ديانة الآموريين عن مثيلتها عند الساميين الآخرين في بادية الشام وبلاد العرب، فقد عبدوا قوى الطبيعة التي كانت مقدسة لدى هؤلاء الساميين. كما عبد الأموريون عدداً من الآلهة السامية ومن أهمها: **الإله أمورو:** الإله الرئيسي الذي تسمى الأموريون باسمه وكان إله القبيلة وإله الحرب وأقيمت له معابد خاصة، ولكن لم يحظ بشهرة ولا حفاوة كبيرتين.

ومن الآلهة الأخرى التي عبدها الأموريون **الإله (داجان)** الذي كان مركز عبادته في مدينة توتول (تل البيعة بالقرب من الرقة) ومنها **الإله (أدد)** إله المطر والعواصف .[٣٤]

التعدد والوحدة في العالم الآموري:

وجدت في القرن الثامن عشر ق.م، أي في العصر الذي ظهرت فيه شخصيات هامة في هذا العالم الأموري الممتد في المشرق العربي القديم: شمشي أدد الأول وحمورابي وياريم ليم وزمري ليم. ويستطيع الباحث أن يتلمس معالم واضحة من الوحدة البشرية واللغوية والاجتماعية رغم وجود عناصر أخرى، وليس من السهل تحديد الحدود العرقية واللغوية بدقة على خارطة المنطقة. أما الحدود السياسية فهي تختلف من عهد إلى آخر بصورة تتبع فعالية الأمراء والملوك.

أما إذا لاحظنا أحوال السكان من الزاوية الحضارية والاجتماعية فإننا نجد الفلاحين في الأرياف، وهم حضريون مستقرون أو بدو. أما في المدن فنجد التجار والصناع الحرفيين موزعين على أحياء المدينة وأسواقها بحسب صنائعهم. والقسم الأكبر من هؤلاء السكان يتكلم لهجات هذه الأقوام العربية القديمة التي اصطلح تسميتها" لغات المشرق العربي القديم" وهي على وجه التحديد لهجات أمورية في الغرب ومنها الكنعانية على الشريط الساحلي الغربي وفي المناطق الكنعانية في الداخل. أما في بلاد الرافدين فكانت تسودها الأكادية بفرعيها البابلي والأشوري إلى جانب السومرية، وبصورة عامة فان السكان مختلطين متداخلين، وقد نصادف في المناطق الانتقالية قبائل أمورية وقد نجد أيضا ضمن المناطق الأمورية تجمعات حورية مبعثرة.

أما العلاقات بين المجتمعات والدول فقد كانت تسودها المصالح الخاصة بكل منها. فقد تتضارب مصالح الأسرات الحاكمة فيؤدي إلى الصدام والقتال على الرغم من انتماء الشعوب إلى أصول مشتركة وقد حدث انه في النصف الأول من الألف الثاني ق.م كانت معظم الأسرات الحاكمة في عواصم المشرق العربي القديم تنتمي إلى أصول أمورية: أشور وبابل وماري وحلب وقطنة ودمشق وحاصور وأفاريس. حتى أن الأسرة المالكة في آشور، أسرة شمشي أدد تبرز كدليل على الواقع الثقافي المشترك وعلى التمازج اللغوي في المنطقة. فالملك الأشوري نفسه وهو من قبيلة أمورية كان مولعا بالتقاليد السومرية بالأكادية وأعطى لابنه الأول اسما أموريا (يشمع دجن) وللآخر اسما أشوريا (يشمع أدد). أما في ماري نفسها فقد التقت كل مؤثرات العصر التي كانت تحيط بها. فهي أمورية في جذورها ولها صلات مع حلب وبابل الأموريتين وخضعت لسلطة أشور فترة من الوقت.

لهذا نرى أن الانتماء إلى وطن قد لا يكونوا واضحا في ذلك العصر بقدر الانتماء إلى القبيلة أو المدنية. وربما يكون هذا الانتماء للوطن أو الدولة محصورا في طبقة من النبلاء والوجهاء لهم مسؤولياتهم المحلية. ولا تنعكس رؤية عامة لأرض الدولة وتبعيتها إلا في الوثائق الرسمية التي تنقل إلينا مطامع الأمراء والعواهل المتنافسين. كذلك لا يخطى الطابع الديني الذي يطبع الدول في العصور القديمة كلها. فالملوك يديرون ممالكهم بإرادة الآلهة وباسمها أما مسؤوليات الملك ومهامه فقد نجد تعبيرا عنها في الألقاب الملكية كما في لقب حمورابي مثلا، فهو المحبوب الآلهة الذين دعوه إلى صعود العرش الملكي، خادم معابد الآلهة، حامي شعبه مدبر شؤون الرعي التي يعم بها الرخاء

والخير، ناشر السلام وموزع الحياة. وتبدو هذه الألقاب مؤشرا لبيان العلاقة بين الملك وشعب بابل في العصر الآموري.

وفيما عدا هذا كله فإن ابرز ملامح الوحدة رغم انقسام العالم الآموري هي هذه الوحدة الثقافية اللغوية التي بدأت تبرز بوضوح. ففي طول البلاد الممتدة بين الفرات والنيل وعرضها كان هناك لغة مشتركة للتفاهم ووسيلة مشتركة للمخاطبة. أما اللغة المشتركة فهي اللغة الأكادية والأمورية التي استخدمت في بابل وأشور وماري وحلب وألالاخ وقطنة وفي ممالك فلسطين وبلاط الفرعون المصري وتبدو وثائق ماري وثائق العمارنة شاهدا عليها. وهذه اللغة المشتركة في سورية كلها لها جذورها الكنعانية وما قبل الأمورية في إبلا مثلا، كما أنها ترتبط بمرحلة لغوية هي المرحلة الآرامية التي تلتها وطبعت منطقة المشرق العربي القديم بطابعها وكانت تمهيدا تاريخيا وأساسيا لانتصار اللغة العربية النهائي بعد ذلك بقرون[٣٥].

الخاتمة :

في النهاية لا يسعنا إلا القول: بأن أهمية سورية التاريخية لا تأتي من اختراعاتها ومكتشفاتها فقط، وإنما هي أيضاً نتيجة موقعها الاستراتيجي بين القارات القديمة الثلاث: أوربا وآسيا وإفريقيا، وقيامها كجسر لنقل التأثيرات الثقافية من مراكز الحضارة المجاورة لها ولنقل البضائع التجارية أيضاً. وبسبب موقع سورية في قلب المشرق العربي، الذي يقع هو أيضاً وسط العالم القديم، فإنها أصبحت في عصر بعيد جداً ناقلة الحضارات في العصور القديمة. وليس من منطقة في العالم يمكنها أن تنافس في قدمها ونشاطها واستمرارها هذه المناطق الثلاث. فقد بزغ فيها فجر التاريخ المتواصل، وفيها يمكن أن نشاهد إلى حدّ ما الشعوب نفسها خلال خمسين أو ستين قرناً من التاريخ غير المنقطع. وقد كانت حضارة هذه المنطقة قائمة منذ الألف الرابع ق.م. ونحن نعلم اليوم أن حضارة أوروبا الأولى لم تكن لمدة طويلة سوى انعكاس ضئيل لحضارة بلاد شرقي البحر المتوسط. وقد أظهرت الأبحاث الأثرية في السنوات الحديثة أن سورية كانت حتى في عصور ما قبل التاريخ تحتل مكانة رفيعة لا تزال تحتل هذه المكانة الرفيعة، فهي مهد الحضارات ومنبعها وعلى ذلك فإن أي إنسان غربي متمدن يمكن أن يدعي الانتساب إلى بلدين : بلده وسورية .

الصادر والهوامش:

1- حتي, فيليب, تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،ج1، دار الثقافة، (بيروت, 1951)، ترجمة جورج حداد، عبد الكريم رافق، ص 3

*ينتسب الساميون حسبما جاء في سفر التكوين إلى سام بن نوح عليه السلام، وقد استعمل لفظ سامي لأول مرة في عام 1781 م على يد المستشرق الألماني "أوجست لدوج شلوستر"A.L.Schller وفيما يتصل بالموطن الأصلي للساميين فقد تشعبت آراء العلماء حول تحديد الموطن الأول للساميين الذين خرجوا منه إلى مناطق المشرق العربي القديم ونخصها فيما يلي : ١ – بلاد الرافدين ٢– أرمينية ٣– أرض آمور التي تشمل بلاد الشام ومنطقة الفرات ٤– إفريقية ٥– شبه الجزيرة العربية (حيث يتجه معظم العلماء إلى الاعتقاد بأنه الموطن الأصلي للساميين) ((سليم، أحمد أمين، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر – سورية القديمة)، (بيروت، ١٩٨٩), ص ٢٣٣ – ٢٣٧)) وكذلك: ((مهران، محمد بيومي، بلاد الشام، (الإسكندرية، ١٩٩٠)، ص ١٨ – ٣٥)) .

وفي حوار أجراه د. بشار خليف مع عالم المسماريات د. نائل حنون، المنشور في مهد الحضارات، العدد الأول, دمشق (٢٠٠٦)، ص ٩٤، اقترح إطلاق اسم " لغات المشرق العربي القديم " بدلا من " اللغات السامية " باعتبار هذا المصطلح الجديد يجمع كل اللغات في موطن واحد وهو المشرق العربي .

2- winkler.H,History Of Babylonia and Assyria, (Newyork,1907),PP.18-22.

3- إسماعيل, حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته، بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، (الإسكندرية ،1997) , ص 137-139.

4- فخري, أحمد، دراسات في العالم العربي, (القاهرة ، 1958) ، ص 108.

5- أحمد علي, عبد اللطيف، محاضرات في التاريخ الشرق الأدنى القديم، جامعة بيروت العربية، (بيروت ،1971)، ص 132.

6- إسماعيل, حلمي محروس ، المرجع السابق ، ص140.

7- Gardiner, A.H., Ancient Egypt ion Onomastica,I,(Oxford,1947), PP.189- 190.

8- زايد, عبد الحميد، الشرق الخالد، (القاهرة ، 1966), ص237 .

9- مرعي, عيد, التاريخ القديم ، ط3، (جامعة دمشق، 2002) , ص 66 .

10- Barton, G.A., The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, (New Haven,1929), P108 ff.

11- Bottero, J., "Syria Before 2200B.C". In Cambridge Ancient History, vol.I, part, (Cambridge,1971), PP.322-32.

١٢- حرب فرزات, محمد, موجز في تاريخ سورية القديم, ط ٩, جامعة حلب, ٢٠٠٤, ص ١١١-١١٢

١٣- حرب فرزات, محمد, المرجع السابق, ص ١١٠-١١٤

١٤- حرب فرزات, محمد, المرجع السابق, ص ١١٥

١٥- أمين سليم, أحمد، في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر – سورية القديمة), دار النهضة العربية، (بيروت ، 1989) ، ص280 .

١٦- مرعي, عيد, المرجع السابق, ص ٦٧

١٧- عبده علي, رمضان ، الشرق الأدنى القديم وحضاراته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر ج2، الأناضول – بلاد الشام ، دار نهضة الشرق ، (القاهرة ،2002)، ص 70-71 . وكذلك حتي, فيليب، المرجع السابق ، ص 73-74.

١٨- سليمان, توفيق، دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، من أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م، ط1، دار دمشق، (دمشق , 1985)، ص 163-164

١٩- مرعي, عيد, المرجع السابق ، ص 68-71

٢٠- محيسن, سلطان ، آثار الوطن العربي القديم ، الآثار الشرقية ، (جامعة دمشق ، 1988)

٢١- مرعي, عيد ، المرجع السابق ، ص 71

ب – عن الآثار التي عثر عليها في إبلا وأغلبها في متحف حلب من أرقام 73 إلى 80 ومن 98 إلى 106، راجع مجموعة من الباحثين ، الآثار السورية (مجموعة أبحاث أثرية تاريخية)، (دمشق 1985) ترجمة د.نايف بللوز، تقديم د.عفيف بهنسي ، ص 82–89، 119–125

٢٢– عبده علي, رمضان ،المرجع السابق ، ص 77–78.

٢٣– عبده علي, رمضان ،المرجع السابق ، ص 78

٢٤– مرعي, عيد ، المرجع السابق , ص 126–127

٢٥– زايد, عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص461.

٢٦– مرعي, عيد ، المرجع السابق ، ص 128.

٢٧– عبده علي, رمضان ، المرجع السابق ، ص 80

٢٨– مرعي, عيد, المرجع السابق ، ص 131.

29– Clay ,A.T., Amurru, The Home of The Northern Semites ,1909. –Hastings, J.,A Dictionary of The Bible ,(Edinburgh ,1936), P 380.

30– Gardiner ,A.H., OP.cit , P.187.

ج– شعليم: مدينة في فلسطين ، سكنها الأموريون ، وربما هي الآن (سلبيط) على مبعدة ثلاثة أميال شمال غربي عجلون .

هـ – لخيش أو لاخيش أو لاكيش وكان يظن أنها (تل الحصى) على مبعدة 16 ميلاً إلى الشمال الشرقي من غزة ،11 ميلاً إلى الجنوب الغربي من مدينة جبريل ، ويرجح الآن أنها (تل الدوير) على مبعدة 5 أميال غرب بيت جبرين . انظر:.(London,1891),Petrie ,W.M.F., Tell el–Hesy (Lachish)

ن– جازر وهي تل الجزر الحالية على مبعدة 18 ميلاً شمال غرب القدس .

٣١– مهران, محمد بيومي ، بلاد الشام ، دار المعرفة الجامعية ، (الإسكندرية ،1990)، ص 54–55. كذلك – مهران, محمد بيومي، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، إسرائيل ج2، (الإسكندرية ،1978), ص 512–513.

٣٢– عبد اللطيف أحمد علي, المرجع السابق ، ص 140

٣٣– حلمي محروس إسماعيل ، المرجع السابق ، ص 145–146.

٣٤– محمد أبو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، دار النهضة العربية، (بيروت ،1987)، ص 157–158. كذلك – حلمي محروس إسماعيل ، المرجع السابق ، ص 144–145 .

٣٥– حرب فرزات, محمد, المرجع السابق, ص ١٣٢–١٣٥